# الجوانب الوظيفية لنظرية الجرجاني النظمية على ضوء المدرسة الوظيفية الهاليداية

الأستاذ المشارك الدكتور
عيسى متقي زاده

الأستاذ الدكتور
خليل برويني

الباحثة
راضيه السادات سادات الحسيني
r_hosseini1362@yahoo.com
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة تربيت مدرس ـ طهران

## ١. المقدمة:

هناك نظريات لغوية ثاقبة في تراثنا الإسلامي شعّت ولا زالت تشعّ أضواؤها على ساحة اللسانيات. من أحدى هذه النظريات نظرية النظم للجرجاني التي قد ادّخرت فيها سمات المدارس اللغوية المعاصرة؛ المدارس التي انقسمت على أساس رؤيتهم للصور اللغوية ووظائفها إلى ثلاثة أقسام: شكلية[١]، وظيفية[٢] ومعرفية[٣].

بعبارة أخرى نظرية الجرجاني تكون نظرية ذات وجوه متعدّدة يتناول فيها عبد القاهر بصورة منهجية الدرس الأدبي والدرس اللغوي معاً[٤] أو وظائف اللغة وصورها. على هذا يمكن لهذه النظرية أن تنطبق مع أكثر الاتجاهات اللغوية المذكورة ولكن بما أن الجرجاني في هذه النظرية يهتمّ بالمعنى والسياق خصوصا سياق الموقف وعناصره، ربّما التطرّق إلى المقارنة بين نظرية النظم ونظريات الوظيفيين لاسيما الوظيفية الهاليداية يعدّ أمراً جديراً بالذكر؛ هذه المدرسة تكون من أهمّ المدارس الوظيفية التي قد سادت في النصف الثاني للقرن العشرين في جانب المدرسة التوليدية التحويلية. هاليداي رائد هذه المدرسة أكمل الفكرة السياقية لأستاذه فيرث وطرح نظريته الجامعة والمتّسقة تحت عنوان النحو النظامي؛ النظرية التي تشابه في كثير من القضايا مع نظرية الجرجاني النظمية.

يستهدف البحث هذا بيان هذه القضايا المشابهة وذكر الجوانب الوظيفية لنظرية

الجرجاني بمنهج وصفي - تحليلي؛ فالسؤال المطروح هو: أيّ جانب من الجوانب الوظيفية الهاليداية يتجلّى في نظرية عبد القاهر وما هو سبب تشابه نظريتين؟ وفرضية البحث تؤيّد وجود تشابهات كاهتمام كلا اللغويين بالمعاني النحوية أو الوظائف اللغوية واهتمامهما بسياق الحال ودور المتكلم والمخاطب الرئيس في ترتيب الكلمات؛ هذه التشابهات ناتجة من توارد أفكار المنظّرين لاشتغالهما بساحة واحدة وهي ساحة اللغة؛ فاللغة ظاهرة إنسانية مشتركة بين أبناء البشر.

**٢- خلفية البحث.**

بالنسبة للدراسات اللغوية التي قد أنجزت في المؤسسات العلمية والأكاديمية حول نظرية النظم ومقارنتها مع النظريات اللغوية المعاصرة فيجدر بالذكر أننا بعد قراءة هذه الدراسات وجدنا أنها كثيراً ما تطرّقت إلى مقارنة نظرية النظم مع البنيوية السوسورية والتوليدية - التحويلية التشومسكية كمدارس شكلية ومقارنتها أيضا مع المدرسة البراغماتية كفرع من فروع الوظيفية منها: كتاب ((**نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبدالقاهر الجرجاني** (((١٩٨٣) لوليد محمّد مراد الذي يقارن بين آراء الجرجاني وآراء المدارس البنيوية خصوصا البنيوية السوسورية؛ كتاب ((**الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة** (((١٩٩٩) لمحمد عباس الذي يوضّح الأبعاد المجهولة لمنهج الجرجاني النقدي واللغوي ويقارن بينه وبين اللغويين المعاصرين كسوسور وتشومسكي ولاينس و...؛ كتاب **((التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي (((٢٠٠٥)** لمسعود صحراوي ورسالة الماجيستر((**قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني**(((٢٠١٢) لثقبايث حامدة اللذين يعالجان مظاهر البراغماتية عند الجرجاني.

أما بالنسبة لمقارنة آراء الجرجاني مع آراء هاليداي ما وجدنا شيئاً إلّا دراستين: إحداهما رسالة الماجيستر لأحمد عبدالشافي عبدالله عبدالرحمن(٢٠٠٧) تحت عنوان ((نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ونظرية البنية المعلوماتية عند هإليداي: دراسة مقارنة ((التي تدفع بالحاجة لعبور الفجوة بين الجرجاني وعلم اللغة الحديث. فعلى رأي الكاتب نموذج الجرجاني (أو نظرية النَّظم) يدعو للمقارنة بنتائج هاليداي منها نظريته حول البنية

المعلوماتية التي تعدّ من عناصر البنية النصية؛ والأخرى مقالة ((مفاهيم لسانيات النص في دلائل الإعجاز لسمية إبرير(٢٠١١) التي تجد في دلائل الإعجاز المصطلحات التي تقترب مفاهيمها في أكثر الأحيان من مفاهيم لسانيات النص عموما ومفهوم الانسجام خصوصا عند علمائها كفان دايك وهاليداي. على الرغم من كون هاتين الدراستين قيّمتين ولكن تطرّقتا إلى بعض المسائل الجزئية عند هاليداي كالبنية المعلوماتية ومبحث الانسجام ومقارنتها مع نظرية الجرجاني فقط، بينما قد بقي هناك بعض المسائل تحتاج إلى التوضيح والتحليل.

### ٣- نظرية النظم وأسسها

ألقت نظرية النظم ظلالها ولا زالت تلقي على الدارسين والطلاب إذ كانت موردا غنيا استقي منه أكثر اللغويين والنقاد. فهذه النظرية المنسوبة إلى عبد القاهر الجرجاني لم تنشأ فجأة ولم تظهر إلى الوجود من خلال باحث واحد، بل مرّت في ظروف مختلفة بإسهام علماء كثيرين إلى أن استوت ناضجة ومدونة على يد عبقري كالجرجاني.

فلفكرة النظم امتداد تاريخي في عمق التراث الإسلامي قرآنيا ونحوياً وبلاغياً: حين بدأ العلماء يبحثون في الوجه المعجز من القرآن الكريم وحين بدأوا يرسون دعائم علمي النحو والبلاغة، لذلك نشهد بذور نشأة هذه النظرية وتكوّنها في الدراسات البلاغية والنحوية التي تتمحور حول النص القرآني والنصوص الأدبية الأخرى؛ من جملة هؤلاء العلماء نستطيع أن نذكر اسماء خليل بن أحمد وسيبويه والجاحظ والباقلاني والخطابي و....[٥].

يعتقد الدكتور محمد أبو موسى (٢٠١٠) بأن عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز - وهو الكتاب الأصل في طرح عبد القاهر نظريته - اعتَمَد على عَلَمَيْن جليلَيْن؛ وهما: سيبويه والجاحظ، فهو لم ينتَفع بهما في الجزئيَّات فحسب، وإنما دخَلاَ عنده في صلب مادَّته التي ابتَدَأها واستَخرَجها، فقد ذكَر الجرجاني أنَّ الخليل وسيبويه بلَغَا في فقه النحو مبلغًا لم يسبقهما إليه أحدٌ، ولم يلحقهما فيه أحد، وأنهما ذروة هذا العلم، ثم ذكَر أنَّ الجاحظ بلَغ في بابه- أي: علم الشعر ومعرفة جوهره وطابعه ومعدنه- مبلغ الشيخين في علم النحو، وتفرَّد الجاحظ في علم الشعر كتفرُّد الشيخين في علم معاني النحو[٦]. ويقول عبدالقادر حسين(١٩٩٨): ((فإذا كان عبدالقاهر هو الذي ينسب إليه ابتكار النظم، لأنّه بسطها وفصّلها وطبّقها على أبواب جمّة من البلاغة، فإن سيبويه هو الذي أمسك المصباح بكلتا

يديه وأنار الطريق أمام عبدالقاهر))[٧]. وتظهر هذه الحقيقة بوضوح إذا عرفنا أنّ عبدالقاهر قد نقل الكثير عن سيبويه ((من حيث تعلق النحو بمعانٍ جمإلية على أساس من التركيب اللغوي للعبارة))[٨] كما عوّل على الجاحظ وذكره في كتابيه وكان ذكره في دلائل الإعجاز أوسع من ذكره في أسرار البلاغة ((فعبد القاهر كان يقدح علم سيبويه بعلم الجاحظ ويقدح علم الجاحظ بعلم سيبويه وأنه استخرج من بينهما ما كتب))[٩].

هذه بعض الأدلّة لإثبات وجود الأسس الأولي لنظرية النظم عند سابقي عبدالقاهر الجرجاني ولكن بما أن لمسألة إعجاز القرآن أثراً كبيراً في بلورة فكرة النظم وبما أن عبدالقاهر شرح ودوّن هذه الفكرة وأسّسها على ضوء الإعجاز القرآني وبما أن الجاحظ كمؤثّر رئيس على فكرة الجرجاني، قد اهتمّ بالنظم اهتماما كبيرا جاعلا منها دليلا على إعجاز القرآن الكريم نحن نذكر هنا جذور النظرية بالنسبة لمسألة الإعجاز فقط ونترك المؤثرات الأخرى على فكرة النظم لفرصة أخرى.

أبو عمرو الجاحظ المتوفي سنة (٢٥٥هـ) الذي يكون أول من تحدّث عن النظم باعتباره سبب الإعجاز ((يري أن الإعجاز بالنظر إلى ذات القرآن متصل بنظمه وحده بصرف النظر عمّا اشتمل عليه من المعاني وهو يستدلّ على ذلك بأنه تعالي طلب إلى العرب أن يأتوا بعشر سور من مثله في النظام والروعة في التأليف حتى ولو حوى التأليف كل باطل مفتري لا معني له))[١٠].

صار هذا المذهب الجاحظي مذهباً غالباً دفع العلماء إليه دفعا ومهّد لعلماء الإعجاز دراسة أسلوب القرآن ومنهم الباقلاني (٤٠٤هـ) الذي قال بأن الإعجاز واقع في ((نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلام الله القديم وأن التحدي إنما كان بأن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن منظومة كنظمها متتابعة كتتابعها...)) [١١]. هو يقول حول النظم القرآني: ((ولقد كان نظم القرآن، معجزا لأن نظمه خارج عن جميع وجوه النظم المعتادة في كلامهم ومباين لأساليب خطابهم...))[١٢]. فذهب الباقلاني إلى أن القرآن بديع النظم، عجيب التأليف،... ولكن النظم عنده لا يقتصر على هذا المعني، ففي نصوص أخرى سياقات تؤكد على أنه كان يفهم النظم بمعني تأليف العبارة وبناء النص تراعي فيه العلاقات بين الكلمات[١٣].

أما الخطابي (٣٨٨هـ) - وهو عالم آخر من علماء الإعجاز - فوصف النظم القرآني: ((ولا ترى نظما أحسن تأليفاً ولا أشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه))[١٤] وقال حول دليل إعجاز القرآن: ((واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمّنا أصح المعاني))[١٥] فهو فسّر بلاغة النظم بأنها وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام، موضعه الأخصّ الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره، جاء منه إما تبديل المعني الذي يكون فيه فساد الكلام وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة وأشار إلى قضية مراعاة الفروق اللغوية بين معاني الألفاظ التي تبدو مترادفة كالعلم والمعرفة والحمد والشكر وما إليهما[١٦].

فهذه بعض الروافد التي غذّت نهر بلاغة عبد القاهر حتى كانت له نظرية النظم واستحق بجدارة لقب واضعها حيث جعل كتابه دلائل الإعجاز موقوفا من مدخله إلى نهايته على شرح هذه النظرية. أما بالنسبة لمعني النظم عند الجرجاني فما الفرق بينه وبين سابقيه؟ ما هي السمات والأسس المميزة في نظريته التي تؤدي بحسبانه واضعها؟ للإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن نتأمل في تعريف عبدالقاهر للنظم وتبيينه أسس النظم.

فالجرجاني يعرّف النظم في مدخل كتابه دلائل الإعجاز قائلا: ((ليس النظم سوي تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما))[١٧] فعلي رأي عبد القاهر تلك الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض هي معاني النحو وأحكامه[١٨] ويقول في مكان آخر: ((ليس النظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها وذلك أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك ((زيد منطلق)) و((زيد ينطلق)) و((ينطلق زيد)) و((منطلق زيد)) و((زيد لمنطلق)) و((المنطلق زيد)) و((زيد هو المنطلق)) و((زيد هو منطلق))[١٩].

فالنظم يقوم على مراعاة قوانين النحو العربي وأحكامه وإن لم يراعَ لم يكن الكلام صحيحا: ((هذا هو السبيل فلستُ بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان

خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلاّ وهو معني من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووُضع في حقّه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا تري كلاماً وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية و فضل فيه إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه))[٢٠].

فبالدقة إلى هذه الأقوال نري أن عبدالقاهر أيضا كسابقيه قد أشار إلى قضية التعليق والتأليف في تعريف النظم و لكنه يربط هذه العلاقات بين الكلم بعلم النحو، فعلم النحو هو العلم الذي ارتكزت عليه دعامة الإعجاز تماما: ((فإذا ثبت الآن أن لا شك و لا مرية في أن ليس النظم شيئا غير توخّي معاني النحو و أحكامه و وجوهه و فروقه و لم يعلم أنها معدنه و مَعانُه و موضعه و مكانه و أنه لا يستنبط له سواها و أن لا وجه لطلبه فيما عداها، غارٌّ نفسه بالكاذب من الطمع و مُسلمٌ لها إلى الخدَع و أنه إن أبي أن يكون فيها، كان قد أبي أن يكون القرآن معجزا بنظمه و لزمه أن يثبت شيئا آخر يكون معجزا به))[٢١] و هذه العبارة التي توضح أهمية النحو في الإعجاز هي غيض من فيض امتلأت به صفحات كتاب الدلائل و ما ذلك الترديد و الإعادة هدفه التوضيح فقط بل هي محاولة لربط أهمية علم النحو (ونظرية النظم) بكل علوم البلاغة[٢٢].

فمحمد كريم الكوّاز(٢٠٠٦) عندما يتكلّم عن النحو و دائرة استعماله عند عبدالقاهر و سابقيه يشير إلى أن النحو قبل عبد القاهر كان يهتمّ بحدّ أدني متمثّل بالصوت المفرد و بحدّ أعلي متمثّل بالجملة أو ما هو في حكم الجملة و لا يتعدّى هذين الحدّين إلى الاهتمام بالتركيب الكلي للأسلوب و لا للأفكار و إنّما ترك ذلك بفروع أخرى من الدراسة كالبلاغة[٢٣]. على هذا نستطيع أن نقول إن عبد القاهر بنظريته استطاع أن يبني جسراً بين علمي النحو و البلاغة باسم علم المعاني الذي يسمّي من جانب بعض اللغويين العرب بـ((قمّة الدراسات النحوية))[٢٤].

الفارق الأساسي الأخرى بين عبدالقاهر وسابقيه هو أنهم تطرّقوا إلى النظم كمفهوم عام مجمل دون أي منهجية و تنظير بينما عبدالقاهر اهتمّ بالتنظير للفكر السابق عليه وتدوينه فـ((اعتبرت نظريته بما احتوت عليه من إضافات إبداعية بمثابة تأسيس علم المعاني))[٢٥]. يؤيّد عبدالقادر حسين(١٩٩٨) تلك الرؤية التنظيرية الجرجانية دون سابقيه قائلاً: ((لم يكن

النظم قبله (يعني الجرجاني) يرقي إلى مستوي النظرية و لم يكن محيطاً بألوان البلاغة كافّة ولم يشمل جميع التعبيرات و إنّما كان نتفاً مفرّقة هنا و هناك لا يجمعها رابط))[٢٦].

يشير عبدالقاهر في كتابه دلائل الإعجاز إلى هذا الأمر أنّه يريد أن يأتي بعلم جديد صعب يعرّف معايير موضوعية لحسن التعبير: ((وينبغي أن نأخذ الآن في تفصيل أمر المزيّة وبيان الجهات التي منها تعرض وإنّه لمرام صعب ومطلب عسير و لولا أنّه على ذلك لما وجدت الناس بين منكر له من أصله و متحيّل له على غير وجهه و معتقد أنّه باب لا تقوي عليه العبارة و لا يملك فيه إلّا الإشارة وأنّ طريق التعليم إليه مسدود وباب التفهيم دونه مغلق وأن معانيك فيه معانٍ تأبى أن تبرز من الضمير وأن تدين للتبيين والتصوير... وأن ليس للواصف لها إلّا أن يلوّح و يشير أو يضرب مثلا ينبئ عن حسن قد عرفه على الجملة وفضيلة قد أحسّها من غير أن يتبع ذلك بياناً و يقيم عليه برهاناً ويذكر له علّة ويورد فيه حجّة))[٢٧].

في الحقيقة هذا العلم الجديد المؤسّس على يد عبدالقاهر يريد أن ينقد تلك الرؤية الذوقية الذاتية عند السابقين؛ الرؤية التي لا تتكئ على معايير عقلانية وموضوعية.

### ٣. نبذة عن المدارس اللغوية الحديثة:

في بداية القرن العشرين تحوّلت ساحة اللسانيات تحولا جذريا حيثما قدّم فرديناند دي سوسور[٢٨] على أساس رؤيته الوصفية[٢٩] والنظامية[٣٠] للّغة، ثنائياته اللغوية كالآنية[٣١] والزمانية[٣٢]، العلاقات الائتلافية[٣٣] والعلاقات الاستبدإلية[٣٤]، اللغة[٣٥] والكلام[٣٦]، الدال[٣٧] والمدلول[٣٨] وأسّس أصول اول مدرسة لغوية حديثة سمّيت بالمدرسة البنيوية[٣٩]. فهذه المدرسة تعدّ كمنطلق أساس للمدارس الآتية؛ المدارس التي اقتبست أصول هذا المنطلق السوسوري ولكن اختلفت عنها في بعض المسائل الفرعية وتفرّعت بفروع متعددة في أروبا وأمريكا حيثما اهتمت بعض هذه الفروع بالشكل والصورة واعتنت بعضها الأخرى بالوظيفة اللغوية.

على أساس هذه الاهتمامات بالصور والوظائف اللغوية هناك ثلاثة اتجاهات في القرن العشرين قد سادت على ساحة اللسانيات هي الاتجاه الشكلي، الاتجاه الوظيفي والاتجاه المعرفي[٤٠] كلّ هذه الاتجاهات تشترك في الرؤية الوصفية والنظامية للّغة ولكن بينها بعض

الافتراقات؛ على سبيل المثال يشترك الاتجاه الشكلي والمعرفي في تبيينهما اللغة كظاهرة ذهنية شخصية أما الاتجاه الوظيفي فيبيّن اللغة كظاهرة تعاملية اجتماعية[٤١].

فإذا نريد أن نوضّح رؤي هذه الاتجاهات توضيحا أكثر نقول إن الاتجاه الشكلي بأن شعاباته المختلفة يعدّ اللغة نظاماً مجرّداً يمكن وصفها دون اهتمام بالبعد الخارجي للظاهرة اللغوية أي أنّه يتناول الظواهر اللغوية تناولاً صورياً يعتبر النظام اللغوي نظاماً مغلقاً مستقلاً تقلّ أهمية المضمون فيه؛ أمّا الاتجاه الوظيفي بفروعه المتعدّدة فيعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية ونظاماً لإنشاء التواصل ويعطي جلّ عنايتها لوظائف المكونات في الجملة والنصّ؛ الوظائف التي تؤدّيها في المجتمعات التي تعمل فيها وترتبط بقضية السياق إضافة إلى البنية اللغوية. كما أن الاتجاه المعرفي يعتقد بأن اللغة تتشكل بواسطة الاستعمال و((البني اللغوية تكون حصيلة معرفتنا من العبارات و الجمل في المواضع الاستعمالية المخصوصة))[٤٢].

من أهمّ مدارس الاتجاه الشكلي في القرن العشرين: المدرسة البنيوية السوسورية[٤٣]، السلوكية البلومفيلدية [٤٤]، التوزيعية الهريسية[٤٥]، التوليدية – التحويلية التشومسكية [٤٦] ومن المدارس الوظيفية نستطيع أن نشير إلى المدرسة البراغية[٤٧]، المدرسة الفيرثية أو مدرسة لندن[٤٨]، المدرسة الوظيفية الهاليداية[٤٩] والمدرسة التداولية[٥٠] ومن انشعابات المدارس المعرفية تحسن الإشارة إلى النحو المعرفي[٥١] والفضاءات الذهنية[٥٢] والاستعارات المفهومية[٥٣]. [٥٤]

## ٤. نظرية النظم و المدرسة الوظيفية الهاليداية

كما قلنا سابقا بما أن نظرية الجرجاني نظرية ذات وجوه متعددة وتمتزج فيها صور اللغة بوظائفها بسبب مزاوجة الجرجاني بين النحو و البلاغة، يوجد في هذه النظرية قابلية المقارنة مع أكثر الاتجاهات المذكورة شكلية و وظيفية و معرفية ولكن بما أن هذه النظرية قد دوّنت في مسار إثبات دلائل إعجاز القرآن كنصّ أدبي ممتاز وأسرار بلاغة النص القرآني والنصوص الأدبية الأخرى، نحن نري في هذه النظرية سيطرة المدارس الوظيفية التي تقدّم آراء حول وظائف اللغة من إحداها الوظيفة الأدبية (الشعرية) وتهتمّ بمسألة السياق (اللغوي و غير اللغوي) حينما تري هذه المدارس أن أبنية اللغة – كواقع اجتماعي حيّ –

تحدّد أولاً على أساس أنّها علاقات وأنظمة داخلية تتأثّر بما يكتنفها من مؤثرات خارجية ثم على أساس أنها وسيلة للتواصل[٥٥].

ومن بين هذه المدارس المدرسة الوظيفية الهاليداية تكون أكثر شمولية وإبداعية بالنسبة للمدارس الوظيفية الأخرى أولا و تكون أكثر مشابهة بالمدرسة الجرجانية ثانياً. إضافة إلى ذلك تشتهر هذه المدرسة اشتهارا أكثر بالنسبة للمدارس الوظيفية الأخرى في النصف الثاني من القرن العشرين فتشيع شيوعا وافرا في جانب التيار الشكلي السائد آنذاك وهو التيار التوليدي والتحويلي.

فالمدرسة الوظيفية الهاليداية المؤسّسة على يد م.إ.ك.هاليداي[٥٦]، تعدّ استمراراً لمدرسة فيرث حيثما طوّر هاليداي فكرة السياق الفيرثية في دراساته عن الاتساق اللغوي وتحليل النصوص واقترح أسلوباً آخر لتحديد العناصر السياقية عند أستاذه فيرث **كشخصية المتكلم و السامع و تكوينهما الثقافي والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات علاقة باللغة و...**[٥٧].

على أساس هذا الأسلوب تلخّص فكرة هاليداي الوظيفية في ثلاثة مصطلحات أساسية (مستويات ثلاثة) وهي: **سياق الحال (الموقف)، النظام الدلالي، النظام الصرفي / النحوي.** فسياق الحال يتجلّى في عناصر **المجال**[٥٨] **ونوع المشاركة**[٥٩] **والصيغة**[٦٠].[٦١] والنظام الدلالي يتجلّى في الوظائف **التجريبية**[٦٢] **والتبادلية**[٦٣] **والنصية**[٦٤] والنظام الصرفي / النحوي يتجلّى في العوامل البنيوية ك**بنية التعدي واللزوم**[٦٥]، **البنية الصيغية**[٦٦]، **البنية الموضوعية**[٦٧]، **البنية المعلوماتية**[٦٨] والعوامل غير البنيوية المسمّاة **بعوامل الانسجام والتماسك**[٦٩].

إذا نريد أن نوضّح هذه الفكرة عند هاليداي توضيحا أدق نقول إن هاليداي يعتقد بوجود ثلاث وظائف للغة في إطار سياقها الحإلي هي الوظائف التجريبية والتبادلية والنصية؛ فالوظيفة التجريبية ترتبط بتجاربنا عن الحوادث الواقعة في عالمنا الخارجي والداخلي والوظيفة التبادلية تدلّ على العلاقات الاجتماعية بين مشاركي الحدث الكلامي والوظيفة النصية ترينا كيفية استخدام اللغة لإنشاء النصوص المكتوبة والمنطوقة[٧٠]. الوظائف التي تتناظر مع المعاني المختفية الثلاثة تحت ثلاث بنيات للنص، بعبارة أخرى

نستطيع أن نقول حول هذه العملية الديناميكية إن السياق يحمل ثلاث وظائف ومعان ممكنة تتردّد فيه، فبإنشاء التواصل بين الطبقات الاجتماعية المختلفة يختار المعني المراد بالنسبة إلى سياقه المربوط وبعد ذلك تختار العناصر اللغوية لكي تظهر في المستويات الصرفية والنحوية والفونولوجية للنص؛ فالمعاني في المرحلة الأولي تأتي بواسطة أصوات اللغة بصورة بنية مادية مدركة؛ فتختار البنية المناسبة لهذه المعاني بين البنيات المختلفة؛ البنية التي قد روعيت فيها كل القواعد الصرفية والنحوية المتناسبة مع معانيها الثلاثة. فبنية التعدي واللزوم تعبّر عن المجال من خلال الوظيفة التجريبية في النظام الدلالي والبنية الصيغية تعبّر عن نوع المشاركة من خلال الوظيفة التبادلية والبنية النصية تعبّر عن الصيغة من خلال الوظيفة النصية[٧١].

### ١,٤.نظرية النظم والنحو النظامي عند هاليداي

ذكرنا سابقا أن مدرسة هاليداي الوظيفية تكون أكثر شمولية وإبداعية بالنسبة للمدارس الوظيفية الأخرى؛ من مظاهر هذه الشمولية والإبداعية، إدخال هاليداي الدرس النحوي في الإطار الوظيفي وربطه بين مصطلحي النحو والنظام، بينما المدارس السابقة كانت تهتمّ بعلم الأصوات وعلم الدلالة وعلم الصيتة فقط دون أيّ اهتمام بعلم النحو وعلاقته بالنظام اللغوي. فهاليداي ينظر إلى النحو كنظام ((يبني المعني و توصف المقولات النحوية على أساس معانيها))[٧٢] (هذا الاهتمام بالنحو قد أدّي ببناء هاليداي أصول النحو النظامي[٧٣] الذي ((يهدف إلى إيجاد تصنيف للجمل ووظائفها النحوية ضمن نظام يبين استعمالاتها))[٧٤].

نحن نري بمثل هذه الرؤية عند الجرجاني أيضا عندما يذمّ سابقيه لاحتقارهم شأن النحو[٧٥] ويعتقد بضرورة وجود علم النحو لإرساء أسس نظريته. فيمكن القول بأن هناك مصطلحين رئيسين عند الجرجاني وهاليداي وهما مصطلحا النحو والنظام اللذان يؤدّيان بإنتاج نظرية النحو النظامي من جانب هاليداي ونظرية النظم من جانب الجرجاني.

فالنظام عند هاليداي يعرّف بأنه يمثّل التصور الأساسي في النحو؛ التصور الذي يقوم على مجموعة من الأنظمة تتشابك بعضها ببعض ويمثّلها مجموعة من الوحدات النحوية التي يختار منها المتكلم ما يلائم موضوع حديثه ومن ثمّ فهي وحدات محدّدة مغلقة على حين يمثّل المعجم وحدات غير محدّدة و مفتوحة[٧٦]. والنظام أو النظم عند الجرجاني يعرّف بتوخّي معاني النحو من جانب المتكلم: ((اعلم أن ليس النظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي

يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نُهِجَت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رُسِمت لك فلا تُخِلّ بشيء منها وذلك أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك ((زيد منطلق)) و((زيد ينطلق)) و((ينطلق زيد)) و((منطلق زيد))... وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: ((إن تخرج أخرج)) و((إن خرجتَ خرجتُ)) و... في الحال إلى الوجوه التي تراها...))[٧٧].

فالنظم عند الجرجاني هو شبكة من العلاقات السببية بين الكلمات التي تعبّر بأنماط مختلفة من جانب المتكلّم (النظم = توخّي معاني النحو) و النحو النظامي لهاليداي يبتني على أساس تعدّد وظائف اللغة[٧٨] المبدأ الذي ينعكس على النظام اللغوي فنجد أن كلّ تركيب أو بناء لغوي يؤدّي وظيفة مختلفة و هذا يعني أن مستعمل اللغة يجد أمامه من الوسائل التعبيرية ما تمكنه من التعبير عن أفكاره و مشاعره. وهذا يتقارب بمفهوم النظم عند الجرجاني وهو توخّي معاني النحو من جانب المتكلّم. فمعاني النحو تحليل لغوي هدفه تحقيق الفهم والاستيعاب[٧٩] كما يعرض هاليداي النحو النظامي لتحليل النصوص أدبية وغير أدبية.

### ٢,٤. نظرية النظم ومفهوم السياق عند هاليداي

المفهوم المشترك الآخر بين الجرجاني وهاليداي، مفهوم السياق لغوياً وغير لغوياً. فالسياق اللغوي عند هاليداي حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة عندما تتساوق مع كلمات أخرى مما يكسبها معني خاصا محددا؛ فالمعنى في السياق هو بخلاف المعني الذي يقدّمه المعجم؛ المعني الذي يقدّمه السياق اللغوي هو معني معين له حدود واضحة وسمات محدّدة غير قابلة للتعدد والتعميم[٨٠] عبدالقاهر أيضاً عندما يتكلم عن العلاقات السياقية الداخلية (السياق اللغوي) يأتي بمصطلح التعليق بين الألفاظ ((لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض و تجعل هذه بسبب من تلك))[٨١] فهو يقول في موضع آخر: ((فليس من عاقل يفتح عين قلبه إلّا هو يعلم ضرورة أن المعني في ضمّ بعضها لبعض وتعليق بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض لا أن ينطبق بعضها في إثر بعض من غير أن يكون فيما بينها تعلّق))[٨٢].

ولكن الميزة الأساسية لمدرسة لندن الوظيفية التي يعدّ هاليداي من أتباعها اهتمامها بالسياق غير اللغوي أو سياق الحال؛ نحن نري هذا الاهتمام عند الجرجاني أيضاً فكلا الرجلين يعتقدان بوجوب الاهتمام بالعلاقات السياقية الخارجة عن النص إضافة إلى العلاقات الداخلية في عملية فهم النص. فالنص عند هاليداي يحسب مكاناً لمحادثة الأصوات المختلفة في المجتمع و يتّصل النظام العلامي اللغوي بالنظام العلامي البيئي. حديث عبدالقاهر عن النظم في مكان من كتابه أسرار البلاغة أيضا يفضي بنا إلى السياق غير اللغوي(سياق الحال): ((فاللفظة قد تروق لك في موضع و تثقل عليك في موضع آخر))[٨٣] والموضع ليس هو إلا المقام الذي يجب أن يتناسب مع المقال. فعناية عبدالقاهر بحال المتكلم والمخاطب وهما من مظاهر سياق الحال بارزة في كتابيه حيثما يجعل مهمة الناظم هادفة إلى توصيل المعني إلى السامع باعتبار تواجده في عملية النظم تواجدا بينا يقول: ((وليت شعري هل يتصوّر وقوع قصد منك إلى معني كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعني كلمة أخرى ومعني القصد إلى معني الكلم أن تعلم السامع بها شيئا لا يعلمه ومعلوم أنّك أيها المتكلم لست تقصد أن يعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلّم بها فلا تقول خرج زيد لتعلمه معني (خرج في اللغة) ومعني (زيد) كيف ومحال أن تكلّمه بألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف))[٨٤] على رأي استيتية (٢٠٠٣) ((اللغة في نظره (الجرجاني) منظومة ثلاثية مكوّنة من: مقتضيات عقلية، وسياق و مقام))[٨٥] فالسياق يعني تلك العلاقات الداخلية بين الكلمات(سياق لغوي) والمقام يعني سياق الحال وعلاقة الكلمات بالعناصر الخارجية والظروف الاجتماعية.

### ٣,٤. نظرية النظم والبنية النصية[٨٦] عند هاليداي

أما من المسائل التي نستطيع أن نندرجها تحت الوجوه المشتركة بين الجرجاني وهاليداي فتكون آراؤهما حول كيفية تنظيم عناصر الكلام؛ فالجرجاني يتكلم حول هذه القضية في تشريحه لمفهوم النظم في كتابه (دلائل الإعجاز) وهاليداي يطرح هذه المسألة تحت إطار مفهوم البنية النصية و فروعها كالبنية الموضوعية والبنية المعلوماتية و قضية الانسجام.

إذا تعتمد البنية النصية على كيفية تنظيم المعلومات التجريبية والتبادلية عن طريق تنظيم و ترتيب العناصر التي تحتوي تلك المعلومات[٨٧] تعتمد نظرية النظم أيضاً على حسن

الترتيب والنظام ووضع الفصل والوصل موضعهما و((الإصابة بكل من الحذف والتكرار والإضمار والإظهار والتقديم والتأخير مكانه))[٨٨] وهذه كلها تتمّ تحت اهتمام كلا اللغويين بالمسائل السياقية خصوصا سياق الحال ومكوناته كحال المتكلم وحال المخاطب والعوامل الاجتماعية والظروف المحيطة و...

على وجهة نظر هاليداي، البنية الموضوعية التي تتشكل من قسمي المبتدأ والخبر تجيب بسؤالنا هذا: ما هو الموضوع الأصلي للنص عند المتكلم؟ فهذه البنية تتمحور حول المتكلم[٨٩] بينما البنية المعلوماتية التي تتشكل من المعلومة المسلمة[٩٠] والمعلومة الجديدة[٩١] تنظر إلى النص بمنظار السامع أو المخاطب لا المتكلم؛[٩٢] لأن المخاطب هو الذي يقرّر أياً من المعلومات ينبغي أن تعدّ من المسلّمات وأياً منها ينبغي أن تعدّ جديدة فالبنية المعلوماتية هي بنية تتمحور حول المخاطب[٩٣].

الجرجاني أيضاً عندما يطرح مبحث التقديم والتأخير في الفصول الأربعة (١٠-١١-١٢-١٣) يتكلّم بنوعٍ ما عن البنيتين الموضوعية و المعلوماتية وإن لم يستعمل نفس المصطلحات الهاليداية؛ مثلاً هو عندما يشرح عبارة ((عبدُالله ضربتُه)) من حيث التقديم والتأخير يشير إلى الدور الرئيس للمتكلم و المخاطب في ترتيب كلماتها و يقول بأنّ تقديم عبدالله من جانب المتكلّم يفِد تنبيه المتكلم السامعَ: ((فإن ذلك من أجل أنه لا يؤتي بالاسم مُعرّي من العوامل إلّا لحديث قد نُوي إسناده إليه. وإذا كان كذلك، فإذا قلت ((عبدالله)) فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه فإذا جئت بالحديث فقلت مثلا ((قام)) أو قلت ((خرج)) أو قلت ((قدم)) فقد علم ما جئت به وقد وطّأت له وقدّمت الإعلام فيه، فدخل على القلب دخول المأنوس به وقبِله قبول المهيأ له المطمئنّ إليه وذلك لا محالة أشدّ لثبوته و أنفي للشبهة وأمنع للشك وأدخل في التحقيق))[٩٤] فعبارة ((عبدالله ضربته)) على ضوء مصطلحات هاليداي تحلّل هكذا:

- عبدالله: المبتدأ والمعلومة المسلّمة وضربته: الخبر والمعلومة الجديدة ⟸المتكلم يقدّم عبدالله لإشعار المخاطب وتنبيهه وإزالة الشك عنه.

هذا النوع من التقديم والتأخير يسمّى في الكتب النحوية العربية بقضية الاشتغال وفي علم اللغة الحديث بالموضعية أو إنتاج المبتدأ[٩٥] التي تعرّف بتحويل الركن الاسمي من

موضعه إلى موضع المبتدأ وهذا التحويل يتناول الركن الاسمى الذي يقع على يسار الفعل فينقله إلى موضع المبتدأ؛ فقد يترك ضميراً عائداً إليه في الموضع الذي كان يشغله الركن الاسمي وقد لا يترك الضمير، فمتى حلّ الضمير في مكان الركن الاسمي المقدّم تسمّى هذه العملية عملية إنتاج المبتدأ مع الضمير وإلّا فيعبّر عنها باسم عملية إنتاج المبتدأ دون الضمير[٩٦].

عبدالله ضربته ⟸ إنتاج المبتدأ مع الضمير

عبدالله ضربت ⟸ إنتاج المبتدأ دون الضمير

على رأي اللغويين، هذه العناصر المتقدمة تمهّد الأرضية للعناصر المتأخرة عنها[٩٧]؛ الرأي الذي يشابه تقريباً برأي الجرجاني الذي يعتقد في هذه الصور بتنبيه السامع والتوطئة له لإعلامه خبراً ما مع هذا الفرق أن عبد القاهر لم يُشِر إلى الصورة الثانية (عبدالله ضربت). عملية الموضعية من وجهة نظره اليداي أيضاً تلك العملية التي ينتقل فيها عنصر من الجملة إلى بداية الجملة و في حكم ((نقطة رحيل الرسالة))[٩٨] تعطي معلومات جديدة إلى المخاطب. على أساس هذا الرأي يمكن أن نشير إلى افتراق بين وجهة نظر هاليداي ووجهة نظر الجرجاني حول الشحن المعلوماتي للعنصر المتقدم، فعندما يعدّ هاليداي المبتدأ معلومة جديدة يعدّ الجرجاني هذا العنصر معلومة مسلّمة لأنّ ((التنبيه لا يكون إلّا على معلوم))[٩٩].

أما بالنسبة لقضية الانسجام فيجب أن نعلم أن نصية أي نصّ لا تعتمد فقط على البنية الموضوعية والبنية المعلوماتية بل يحتاج النصّ إلى وجود علاقات معنوية في داخله تدعي بالانسجام. فأدوات الانسجام عند هاليداي تكون: الإحالة[١٠٠]، الاستبدال[١٠١]، الحذف[١٠٢]، أداة الربط[١٠٣] والاتساق المعجمي[١٠٤][١٠٥].

على سبيل المثال، عامل الحذف الذي ينقسم إلى الحذف الاسمي و الفعلي و القولي هو علاقة داخل نص و عن طريق فهمه يتمكن القارئ من ملء الفراغات في النص. فالحذف على أساس رؤية هاليداي و حسن، يحدث عند كون عنصر مفروض سابقا في النص؛ العنصر الذي كان مذكورا أو معروفا سابقاً[١٠٦].

تقول الدكتورة إبرير (٢٠١١) حول دور الحذف البارز في انسجام النص: ((الحذف يحقق التماسك لأنه يجنب تكرار الكلمات بطريقة تفقد النص توازنه ففيه نوع من الاستراتيجية التي يأخذ فيها المتكلم بيد المتلقي ليشركه في نسج معاني النص من خلال تقدير المحذوف))[١٠٧].

مثال هاليداي على الحذف الفعلي[١٠٨]:

a. Have you beenswimming? - Yes,I have.
b. What have you been doing? - swimming

فالعنصر المحذوف في العبارة الأولى هو (been swimming) وفي العبارة الثانية ( I have been) ونحن ندرك هاتين العبارتين المحذوفتين من القرائن اللفظية الموجودة في النص.

عامل أداة الربط أيضاً من العوامل التي يسبّب الانسجام النصي؛ فهو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم حتى تدرك متتاليات الجمل في النص كوحدة متماسكة وينقسم هذا العامل أيضا من جانب هاليداي إلى الوصل الإضافي والسببي والزمني[١٠٩].

مثال هاليداي على الوصل الإضافي[١١٠]:

For the whole day he climbed up the steep mountain side , almost without stopping.

طوال اليوم هو تسلّق جبلاً شديد الانحدار من دون أن يتوقف تقريباً.

And in all this time he met no one. (additive conjunction)

و طوال هذا الوقت لم يلتق أحداً. (الوصل الإضافي)

فعبدالقاهر الجرجاني أيضا قد تطرّق إلى الانسجام و أدواته التي تؤدي بفصاحة النص وبلاغته مثل ظواهر الحذف والوصل والفصل والتضام والاستبدال و... على سبيل المثال، هو يتحدّث بالتفصيل عن أدوات الربط المختلفة بين الجمل و العبارات وأكد عليها بالأمثلة التطبيقية و علاقتها بالسياق وخضوعها لقصد القائل وظروف السامع وكل هذه الآليات كانت مدار بحث هاليداي ورقية حسن في تأسيسهما لنظريات الاتساق والانسجام وكان

لعبدالقاهر فضل السبق في التناول.

عبدالقاهر يأتي بمقطع زاخر بكثير من دلائل الدراسة النصية التي تحقق التماسك النصي: ((وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص معناه نحو أن تجيء بـ((ما)) في نفي الحال وبـ((لا)) إذا أراد نفي الاستقبال و بـ((إن)) فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون و بـ((إذا)) إذا علم أنه كائن وينظر في الجمل التي ترد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ثم يعرف فيما حقه الوصل، موضع الواو من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم وموضع أو من موضع أم وموضع لكن من موضع بل ويتصرّف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله وفي الحذف والإضمار فيضع كلا من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له))[١١١].

فهو في مكان آخر عندما يتكلم حول فروق الحال يشير إلى دور أداة الربط((واو)) والإحالة بالضمير، في تحقيق الاتساق والانسجام بين الجملتين: ((فاعلم أن كلّ جملة وقعت حالا ثم امتنعت من الواو فذلك لأجل أنّك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد فكل جملة جاءت حالا ثم اقتضت الواو فذلك لأنك مستأنف بها خبرا وغير قاصد إلى أن تضمّها إلى الفعل الأول في الإثبات تفسير هذا أنك إذا قلت ((جاءني زيد يسرع)) كان بمنزلة قولك ((جاءني زيد مسرعا)) في أنك تثبت مجيئا فيه إسراع و تصل أحد المعنيين بالآخر ونجعل الكلام خبرا واحدا))[١١٢].

يري عبدالقاهر الحذف - و هو يشكل آلية هامة لانسجام جمل النص- بابا دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيها بالسحر، فإنك تري به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن[١١٣]. فيأتي بأمثلة كثيرة حول حذف المبتدأ - وهو يتناظر مع الحذف الاسمي عند هاليداي - (حوالي خمس صفحات (١٤٧-١٥١)) ويقول بعد كلها: ((فتأمل الآن هذه الأبيات كلّها واستقرِها واحداً واحداً وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ثمّ فليت النفس عمّا تجد وألطفت النظر فيما تحسّ به. ثمّ تكلّف أن تردّ ما حذف الشاعر وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك، فإنك

تعلم أن الذي قلتُ كما قلتُ وأن رُبّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد وإن أردت ما هو أصدق في ذلك شهادة وأدلّ دلالة))[١١٤].

**٥- النتائج.**

١- هناك تقارب بين النظم الجرجاني والنحو النظامي عند هاليداي حيثما النظم هو توخّي معاني النحو من جانب المتكلم والنحو النظامي أيضا يبتني على أساس الاختيار، اختيار معان يختار منها المتكلم عند كل إنتاج كلامي.

٢- تلخّص نظرية عبدالقاهر في ثلاث كلمات وهي: ((توخّي معاني النحو))؛ فهذه الكلمات الثلاث تقترب من((النحو النظامي الوظيفي)) عند هاليداي لأن هاليداي قد بني نظريته على أساس ((النحو)) و((الوظائف (المعاني))) و((النظام (وهو يبتني على أساس إرادة المتكلم و توخّيه المعاني))).

٣- كلا المنظّرين (الجرجاني و هاليداي) يؤكدان على قيمة السياق البارزة لاسيّما سياق الحال ويتّفقان على الدور الرئيس لهذا العنصر في عملية فهم النص واستيعابه.

٤- أدخل كلا المنظّرين الدرس النحوي في نظريتهما وربطا بين النحو والوظيفة بينما سابقوهما ما اهتمّوا بالنحو اهتماما بالغا وكانوا يتطرّقون إلى المباحث الصوتية والصرفية والدلالية فقط.

٥- كلا الرجلين يعتقدان بأن نصية أي نص تكون في رهن العوامل البنيوية (البنية الموضوعية والبنية المعلوماتية) وغير البنيوية (الانسجام) ويربطان ترتيب الكلمات وكيفية تنظيمها في النص بحال المتكلّم والمخاطب كما يعتقد كلاهما بأنّ هناك بعض التفاعلات في داخل السياق وخارجه التي تسبّب انسجام النص انسجاما أكثر مثل الحذف والوصل وأدوات الربط.

٦- هذه التشابهات والالتقاءات ترجع إلى الصدفة الفكرية أو ما يعرف بتوارد الأفكار لأنّ الباحثين يسلّطان الضوء على ظاهرة إنسانية واجتماعية ونفسية واحدة هي اللغة.

**الملخص:**

هذه الدراسة تحاول إعادة معرفة نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني تحت مجهر النظريات اللغوية المعاصرة. من جملة هذه النظريات، آراء المدرسة الوظيفية خصوصا الوظيفية الهاليداية حيثما نشاهد بعض الجوانب و المفاهيم الوظيفية المطروحة فيه عند نظرية الجرجاني.

من أهم الأسس والمفاهيم التي تقوم عليها نظرية كلا الرجلين: الجرجاني وهاليداي، مفهوم النظام أو النظم الذي يعرّف بأنه يمثّل التصور الأساسي في النحو؛ من المفاهيم المشتركة الأخرى بينهما تكون: السياق (بمظهريه اللغوي وغير اللغوي)،البنية النصية وعواملها البنيوية وغير البنيوية كالبنية الموضوعية والبنية المعلوماتية والانسجام و ...

فمنهجنا في الدراسة يكون منهجا وصفيا تحليليا يتطرّق إلى الموضوع في أقسام ثلاثة: نظرية النظم والنحو النظامي، نظرية النظم والسياق، نظرية النظم والبنية النصية. بعض نتائج البحث تكون: التقارب بين مفهوم النظم عند عبدالقاهر ومفهوم النحو النظامي عند هاليداي، اهتمام كلا المنظّرين بعنصر السياق لغويا وغير لغويا، اتفاق كلا المنظّرين على دور المتكلم والمخاطب البارز في ترتيب الكلمات وأثر هذا الترتيب على الشحن المعلوماتي للكلام.

الكلمات المفتاحية: نظرية النظم، عبدالقاهر الجرجاني، النحو النظامي، م.إ.ك. هاليداي

**Abstract**

Intro:

There is a language theory in our Islamic tradition and it is light shine in our tongue square , one of any theory of Al- jerjani that have modern language school ,the school the school divided for there view for and there job three part: functional, formalism, epistemic.

By another side theory of Al- jerjani that theory has many face , Abed Al-Qaher view the literary lesson or language lesson together.

This aim of this research show the same subject and show the Functional side for theory of Al- jerjani the question is from which side of Functional Al-heledeyain Al-Qaher view and the same thing in both ,that both of them interest in language Functional and speaker role and chief speaker in order the word that idea in one square that language square , that the language is human phenomenon between humen.

## هوامش البحث

(1)formal school
(2)functional school
(3)cognitive school

(٤) عباس؛ محمد: الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني (دراسة مقارنة)، دمشق، دار الفكر،١٩٩٩، ص٣٢.

(٥) أنظروا صالح نايتة؛ هند جميل: مصادر الإمام عبدالقاهر في بلاغته(رسالة الماجيستر)،جامعة أم القري، المملكة السعودية،١٤٠٧،صص٤٠-٥٥.

(٦) محمد أبوموسي؛ محمد: مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠١٠، صص٢٤-٢٥.

(٧) حسين؛ عبدالقادر: أثر النحاة في البحث البلاغي، القاهرة، دارغريب، ١٩٩٨، ص١١٤.

(٨) حسن أحمد؛ نوزاد: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٦، ص٣٠١.

(٩) محمد أبوموسي؛ محمد: مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، القاهرة، مكتبة وهبة،٢٠١٠، ص٣٤.

(١٠) نقلاً عن الجندي؛ درويش: نظرية عبدالقاهر في النظم، مكتبة نهضة مصر بالفجّالة، ١٩٦٠، ص٢٢.

(١١) الباقلاني؛ أبوبكر: إعجاز القرآن، التحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر،(لا تا)،صص٣٩٤-٣٩٥.

(١٢) المصدر نفسه: ص٧٥.

(١٣) الكوّاز؛ محمد كريم: البلاغة و النقد المصطلح و النشأة و التجديد، بيروت، الانتشار العربي، ٢٠٠٦، ص٣١٠.

(١٤) الخطابي؛ أبوسليمان: بيان إعجاز القرآن، ضمن مجموعة ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، التحقيق والتعليق: محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر،١٩٧٦، ص٢٧.

(١٥) المصدر نفسه.

(١٦) المصدر نفسه:صص٢٩-٣٠ .

(١٧) الجرجاني؛ عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، القراءة والتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤، ص٤.

(١٨) المصدر نفسه:ص٨.

(١٩) المصدر نفسه:ص٨١.

(٢٠) المصدر نفسه:صص٨٢-٨٣.

(٢١) المصدر نفسه: ص٥٢٦.

(٢٢) صالح نايتة؛ هند جميل: مصادر الإمام عبدالقاهر في بلاغته(رسالة الماجيستر)،جامعة أم القري، المملكة السعودية،١٤٠٧،ص٢٩.

(٢٣) الكوّاز؛ محمد كريم: البلاغة والنقد المصطلح والنشأة و التجديد، بيروت، الانتشار العربي، ٢٠٠٦، ص٣١٤.

(٢٤) حسّان؛ تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيأة المصرية العامة للكتب، ١٩٧٣، ص١٨.

(٢٥) نقلاً عن ابوزيد؛ سمير: «نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني أول محاولة في العلوم الإنسانية))، مجلة المواقف قسم العلوم الإنسانية، (٢٠٠٧)، ص٣٠.

(٢٦) حسين؛ عبدالقادر: أثر النحاة في البحث البلاغي، القاهرة، دارغريب، ١٩٩٨، ص٣٧٩.

(٢٧) الجرجاني؛ عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، القراءة والتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤، صص٦٤-٦٥.

- (28) F.De Saussur
- (29)descriptive
- (30)systemic
- (31)synchronic
- (32)diachronic
- (33)syntagmatic relations
- (34)paradigmatic relations
- (35)language
- (36)parol
- (37)signifie
- (38)signified
- (39)structural school

(٤٠) دبيرمقدم؛ محمد: زبانشناسي نظري پيدايش و تكوين دستور زايشي، تهران، سمت، ١٣٩٠، ص١٢.

(٤١) مهاجر؛ مهران ومحمد نبوي: به سوي زبانشناسي شعر رهيافتي نقش گرا، تهران،نشر مركز، ١٣٧٦، ص٧.

(٤٢) رضوي؛ محمدرضا: معرفي و نقد كتاب دستور شناختي:درآمدي مقدماتي، مجله دستور ويژه نامه فرهنگستان،شماره٦،١٣٨٩، ص٢٨٤.

- (43)Saussur's structural
- (44)Bloomfield's behaviorist
- (45)Harris's distributional
- (46) Chomsky's generative transformational
- (47)Prague school
- (48)Firth(London)school
- (49) Halliday functional school
- (50)pragmatic school
- (51)cognitive grammar
- (52)mental spaces
- (53)conceptual metaphors

(٥٤) المصدر نفسه: ص٢٨٥.

(٥٥) سادات الحسيني؛ راضية السادات: دراسة في جذور آراء نحاة البصرة على ضوء المدارس اللغوية الشكلية و الوظيفية(رسالة الماجيستر)، طهران، جامعة العلامة الطباطبائي، ١٤٣٢، ص١١٤.

(56)M.A.K.Halliday

- المصدر نفسه:ص285. (57)

(58)field

(59)tenor

(60)mode

(61)- Halliday, M.A.K; Language as Social Semiotics. London:Edward Arnold; 1978. pp143-145.

(62) experiential function

(63) interpersonal function

(64) textual function

(65) transitivity / intransitivity structure

(66) mood structure

(67) thematic structure

(68) information structure

(69) cohsion

(٧٠)- مهاجر؛ مهران و محمد نبوي: به سوي زبانشناسي شعر رهيافتي نقش گرا، نشر مركز، تهران، ١٣٧٦، صص٢٧-٢٨.

(71)Halliday, M. A. K & Hasan.R; Language, context, and text: aspect of language in a social semiotic perspective, Oxford University press. 1985. pp25-28.

(72)Halliday, M. A. K & Christian Matthiessen; An Introduction to Functional Grammar. (Third edition). London: Arnold; 2004.p10.

(73)systemic grammar

(٧٤) كمال الدين؛ حازم على: دروس في علم اللغة العام، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٩٩، ص٤٤.

(٧٥) أنظروا الجرجاني؛ عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، القراءة والتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤، صص٢٨-٣٣.

(٧٦) رمضان النجار؛ نادية: اللغة وعلم اللغة قديماً وحديثاً، إسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠١٠، ص٨٩.

(٧٧) الجرجاني؛ عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، القراءة والتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤، صص٨١-٨٢.

(٧٨) أحمد؛ يحيي: ((الاتجاه الوظيفي و دوره في تحليل اللغة))، مجلة عالم الفكر، المجلد٢٠، العدد٣، ١٩٨٩، ص٨٩.

(٧٩) محمد بلحاف؛ عامر فائل و ناصر عامر مبارك التميمي: ((من مظاهر الالتقاء بين فكر عبدالقاهر في النظم وبعض المبادئ اللغوية لمدرسة لندن))، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، ٢٠١٢، ص١٢.

(80)- Halliday, M. A. K; On Grammar.London&New York:Continuum; 2002;p61.

(٨١) الجرجاني؛ عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، القراءة والتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤، ص٥٥.

(٨٢) المصدر نفسه: ص٣٣٩.

(٨٣) المصدر نفسه: ص٧٣.

(٨٤) الجرجاني؛ عبدالقاهر: أسرار البلاغة في علم البيان، التصحيح والتعليق: السيد محمد رشيد رضا، بيروت، دارالمعرفة، (لا تا)، ص٣٧٦.

(٨٥) إستيتية، سمير شريف: منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص، أمان، دار وائل،٢٠٠٣،ص١٢٦.

(86)textual structure

(٨٧) مهاجر؛ مهران ومحمد نبوي: به سوي زبانشناسي شعر رهيافتي نقش گرا، تهران، نشر مركز، ١٣٧٦، صص ٥٤-٥٥.

(٨٨) الجرجاني؛ عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، القراءة والتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤، ص٨٢.

- (89) speaker-oriented
- (90) given information
- (91) new information

(92) - Halliday, M. A. K; An introduction to functional grammar.London:Edward Arnold; 1994;p299.

- (93) addressee- oriented

(٩٤)- الجرجاني؛ عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، القراءة والتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤، صص١٣١-١٣٢.

(95) topicalization

(٩٦) نبي فر؛ ليلا: كاربردهاي را در زبان فارسي امروز، پايان نامه كارشناسي ارشد زبانشناسي همگاني، تهران، دانشگاه تهران، ١٣٨٣، صص٨٢-٨٣.

(٩٧)- مدرّسي، بهرام: ساخت اطلاع وبازنمايي آن در زبان فارسي، پايان نامه دكتري زبانشناسي همگاني، تهران:دانشگاه تربيت مدرس،١٣٨٦،ص١٣.

(98) Halliday, M. A. K; An introduction to functional grammar.London:Edward Arnold; 1994;p299.

(٩٩) الجرجاني؛ عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، القراءة والتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤، ص١٤٥.

(100)reference
(101)substitution
(102)ellipsis
(103)conjunction
(104)lexical cohesion
(105)-Halliday.M.A.k&Hasan.R;Cohesion in English, London: Lonhgman; 1976;p29.
(106)-Ibid:pp144-145.

(١٠٧) إبرير، سمية: ((مفاهيم لسانيات النص في دلائل الإعجاز))، مجلة جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠١١، ص١٩٢.

(108)- Halliday.M.A.k&Hasan.R;Cohesion in English, London: Lonhgman; 1976;p167.
(109)- Ibid:p231.
(110)-Ibid:238.

(١١١) الجرجاني؛ عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، القراءة والتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤، ص٨٢.

(١١٢) المصدر نفسه: ص٢١٣.

(١١٣) المصدر نفسه: ص١٤٦.

(١١٤) المصدر نفسه: ص١٥١.

## قائمة المصادر والمراجع

### العربية:


- إبرير، سمية ((مفاهيم لسانيات النص في دلائل الإعجاز))، مجلة جامعة محمد خيضر بسكرة، (٢٠١١)، صص١٦٧-١٩٨.
- أبوزيد؛ سمير: ((نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني أول محاولة في العلوم الإنسانية))، مجلة المواقف قسم العلوم الإنسانية،(٢٠٠٧)،صص١-٤٤.

- أحمد؛ يحيى: ((الاتجاه الوظيفي و دوره في تحليل اللغة))، مجلة عالم الفكر، المجلد٢٠، العدد٣، (١٩٨٩)، صص٦٩-٩٧.
- إستيتية، سمير شريف: منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص، أمان، دار وائل، (٢٠٠٣).
- الباقلاني؛ أبو بكر: إعجاز القرآن، التحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر،(لا تا).
- الجرجاني؛ عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، القراءة والتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (١٩٨٤).
- ----؛-----: أسرار البلاغة في علم البيان، التصحيح والتعليق: السيد محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة،(لا تا).
- الجندي؛ درويش: نظرية عبدالقاهر في النظم، مكتبة نهضة مصر بالفجّالة، (١٩٦٠).
- حسّان؛ تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيأة المصرية العامة للكتب، (١٩٧٣).
- حسن أحمد؛ نوزاد: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، (١٩٩٦).
- حسين؛ عبدالقادر: أثر النحاة في البحث البلاغي، القاهرة، دار غريب، (١٩٩٨).
- الخطابي؛ أبو سليمان: بيان إعجاز القرآن، ضمن مجموعة ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، التحقيق والتعليق: محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، (١٩٧٦).
- رمضان النجار؛ نادية: اللغة وعلم اللغة قديماً وحديثاً، إسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (٢٠١٠).
- سادات الحسيني؛ راضية السادات: دراسة في جذور آراء نحاة البصرة على ضوء المدارس اللغوية الشكلية والوظيفية (رسالة الماجيستر)، طهران، جامعة العلامة الطباطبائي، (١٤٣٢).
- صالح نايتة؛ هند جميل: مصادر الإمام عبدالقاهر في بلاغته (رسالة الماجيستر)، جامعة أم القري، المملكة السعودية، (١٤٠٧).
- عباس، محمد: الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني(دراسة مقارنة)، دمشق، دار الفكر، (١٩٩٩).
- كمال الدين؛ حازم على: دروس في علم اللغة العام، القاهرة، مكتبة الآداب، (١٩٩٩).
- الكوّاز؛ محمد كريم: البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، بيروت، الانتشار العربي، (٢٠٠٦).
- محمد أبو موسى؛ محمد: مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، القاهرة، مكتبة وهبة، (٢٠١٠).
- محمد بلحاف؛ عامر فائل وناصر عامر مبارك التميمي: ((من مظاهر الالتقاء بين فكر عبدالقاهر في النظم وبعض المبادئ اللغوية لمدرسة لندن))، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، (٢٠١٢)، صص٥-٣٨.

**الفارسية:**

- دبير مقدم؛ محمد: زبانشناسي نظري پيدايش وتكوين دستور زايشي، تهران، سمت، (١٣٩٠).
- رضوي؛ محمد رضا: ((معرفي و نقد كتاب دستور شناختي: درآمدي مقدماتي))، مجله دستور ويژه نامه فرهنگستان، شماره ٦، (١٣٨٩)، صص٢٨٣-٣٠١.
- مدرّسي، بهرام: ساخت اطلاع وبازنمايي آن در زبان فارسي، پايان نامه دكتري زبانشناسي همگاني، تهران: دانشگاه تربيت مدرس، (١٣٨٦).
- مهاجر؛ مهران ومحمد نبوي: به سوي زبانشناسي شعر رهيافتي نقش گرا، نشر مركز، تهران، (١٣٧٦).
- نبي فر؛ ليلا: كاربردهاي را در زبان فارسي امروز، پايان نامه كارشناسي ارشد زبانشناسي همگاني، تهران، دانشگاه تهران، (١٣٨٣).

**الإنجليزية:**

- Halliday, M. A. K; An introduction to functional grammar. London: Edward Arnold; (1994).
- ----------,----------;On Grammar.London&New York: Continuum; (2002).
- ----------,----------;Language as Social Semiotics. London: Edward Arnold;(1978).
- Halliday.M.A.k&Hasan. R;Cohesion in English, London: Lonhgman;(1976).
- ----------&----------; Language, context, and text: aspect of language in a social semiotic perspective, Oxford University press, (1985).
- Halliday, M. A. K & Christian Matthiessen*; An* Introduction to Functional Grammar. (Third edition). London: Arnold;(2004*)*.